# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut


## الرسالة

(أعمال الرسل ٢:١-١١)

لمَّا حلَّ يومُ الخمسينَ كانَ الرسلُ كلُّهم معاً في مكانٍ واحد* فحدثَ بغتَةً صوتٌ من السماءِ كصوتِ ريحٍ شديدةٍ تعصِفُ وملأَ كلَّ البيتِ الذي كانوا جالسينَ فيه* وظهرتْ لهم ألسِنَةٌ متقسِّمةٌ كأنَّها من نارٍ فاستقرَّتْ على كلٍّ واحدٍ منهم* فامتلأوا كلُّهم من الروحِ القُدُسِ وطفِقوا يتكلَّمون بلُغاتٍ أخرى كما أعطاهم الروحُ أن ينطِقوا* وكانَ في أورَشليمَ رجالٌ يهودٌ أتقياءُ من كلِّ أمَّةٍ تحت السماءِ* فلمَّا صارَ هذا الصوتُ اجتمعَ الجمهورُ فتحيَّروا لأنَّ كلَّ واحدٍ كان يسمَعُهم ينطِقون بلغتِه* فدَهِشوا جميعُهم وتعجَّبوا قائلينَ بعضُهم لبعض أليس هؤلاءِ المتكلِّمونَ كلُّهم جليليين* فكيف نسمعُ كلٌّ منَّا لغتَهُ التي وُلد فيها* نحنُ الفرتيين والماديّين والعيلاميين وسكَّانَ ما بين النهرين واليهودية وكبادوكية وبُنطُسَ وآسِية* وفَريجية وبمفيلية ومصرَ ونواحي

## عمل الإبن وعمل الروح القدس

«ويكون في الأيامِ الأخيرةِ أنّي أسكُبُ من روحي على كلِّ بشرٍ، فيتنبّأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابُكم رؤى ويحلمُ شيوخُكم أحلاماً» (أع٢: ١٧). بهذه الآية المستمدّة من نبوءة يوئيل النبيّ (٢: ٣٠-٣١) يفسر الرسول بطرس، في العظة التي ألقاها يوم عيد الخمسين، هذا الحاصل في أورشليم، أي انسكاب الروح القدس على تلاميذ يسوع الناصريّ. كان كثر من اليهود قد حضروا من أصقاع كثيرة إلى المدينة المقدّسة بهدف الإحتفال بعيد الخمسين، وهو عيد إعطاء الناموس في بريّة سيناء. فإذا بكل واحد منهم يسمع تلاميذ الناصريّ يتكلّم بلغته: «أترى ليسَ جميعُ هؤلاءِ المتكلِّمينَ جليليين؟ فكيفَ نسمعُ نحنُ كلٌّ واحدٍ منَّا لغتَهُ التي وُلد فيها»؟ (أع ٢:٧-٨). الروح القدس يعبّر عن ذاته، يوم العنصرة، بعجيبة فهم. وليس من الصدفة بمكان أنّه يحلّ على التلاميذ على شكل ألسنة منقسمة كأنّها من نار. هو يعطي التلاميذ، إذاً، «ألسنةً» جديدة، قدرةً على نقل البشارة بيسوع الناصريّ المصلوب والقائم من بين الأموات. قدرة على النطق بـ«عظائم الله» (أع٢:١١)، بحيث يتلقّى الآخرون هذه البشارة ويفهمونها «بلغتهم».

في كلّ هذا، العلاقة الوثيقة بين الروح القدس ويسوع الناصريّ القائم من بين الأموات ظاهرة بجلاء. فالرسول بطرس، في عظته يوم العنصرة، يؤكّد أنّ يسوع أخذ موعد الروح القدس من الآب وأنّه هو الذي «سكبَ هذا الذي أنتم الآنَ تبصِرونهُ وتسمعونه» (أع ٢:٣٣). ولا تختلف شهادة إنجيل يوحنّا عمّا نقرأه في أعمال الرسل. فإذا كان الروح القدس، من حيث وجوده الأزليّ، ينبثق من الآب وحده، فهو، بوصفه قوّة الله الآتية إلى التلاميذ والعالم يصدر من الإبن: «ومتى جاءَ المُعزّي الذي سأرسلهُ أنا إليكم من الآبِ، روح الحقِّ الذي من عندِ الآبِ ينبثقُ فهو يشهد لي» (يو ١٥:٢٦). معنى هذا أنّ عمل المسيح الخلاصيّ، أي موته على الصليب ونهوضه من القبر، هو الشرط الضروريّ لحلول الروح القدس: «الروح القدس لم يكن قد أُعطيَ بعدُ، لأنّ يسوعَ لم يكن قد مُجّد بعدُ» (يو ٧: ٣٩). ومعنى هذا، أيضاً، أنّنا نستمدّ عطايا الروح من جسد يسوع الممجّد، كما

**العدد ٢٠٠٧/٢١**

**الأحد ٢٧ أيار**

**أحد العنصرة**

**تذكار القديس الشهيد**

**في الكهنة ألأديوس**

ليبيَّة عند القَيْروان والرومانيين المستوطنين* واليهودَ والدخلاءَ والكريتيين والعربَ نسمعهم ينطِقون بألسنتنا بعظائمِ الله.

## الإنجيل

(يوحنا ٧:٣٧–٥٢؛ ٨:١٢)

في اليوم الآخرِ العظيمِ من العيدِ كان يسوعُ واقفاً فصاح قائلاً إن عطِشَ أحدٌ فليأتِ إليَّ ويشرَبْ* مَنْ آمن بي فكما قال الكتابُ ستجري مِنْ بطنهِ أنهارُ ماءٍ حيٍّ* (إنَّما قال هذا عن الروحِ الذي كان المؤمنون بهِ مزمعين أنْ يقبلوهُ إذْ لم يكُنْ الروحَ القدسَ بعدُ. لأنَّ يسوعَ لم يكنْ بعدُ قد مُجّدَ)* فكثيرون منَ الجمعِ لمَّا سمعوا كلامَهُ قالوا هذا بالحقيقةِ هو النبيُّ. وقال آخَرون هذا هو المسيح* وآخَرون قالوا ألعلَّ المسيحَ من الجليل يأتي* ألَم يقُلِ الكتابُ إنَّهُ مِنْ نسلِ داودَ من بيتَ لحمَ القريةِ حيثُ كان داودُ يأتي المسيحُ* فحدثَ شقاقٌ بين الجمع من أجلهِ* وكان قومٌ منهم يريدون أن يُمسِكوهُ ولكنْ لم يُلْقِ أحدٌ عليهِ يداً* فجاءَ الخُدَّامُ إلى رؤساءِ الكهنةِ والفريسيين فقال هؤلاءِ لهم لِمَ لمْ تأتوا بهِ* فأجابَ الخدَّامُ لم يتكلَّم قطُّ إنسانٌ هكذا مثلَ هذا الإنسان* فأجابهم الفريسيون ألعلَّكم أنتم أيضاً قد ضَلَلْتم* هل

ظهر للتلاميذ الثلاثة على جبل التجلّي وكما اعتلن خصوصاً بعد القيامة. فسرّ الإفخارستيا، الذي نتناول فيه جسد يسوع ودمه، يوحّدنا بيسوع وينقل إلينا قوّة الروح القدس المختزنة، بغنّى، في طبيعته البشرية.

ولكن، ما هو تماماً دور الروح القدس في العمل الخلاصيّ؟ يشدّد معلّمو الكنيسة الأوّلون على أنّ سرّ الخلاص كان عملاً ثالوثيًّا، وذلك رغم أنّ التجسد في ذاته أمر يختصّ بالأقنوم الثاني دون سواه. الروح القدس حاضر، إذاً، بقوّة في المسيرة الخلاصيّة التي يحقّقها الإبن. والأناجيل تصوّره ملازماً كلّ خطوة من خطوات يسوع منذ ولادته. هكذا، نجد أنّ الإنجيليّ لوقا يؤكّد أنّ حبل مريم بيسوع لم يكن بفضل زرع رجل، بل من الروح القدس. والروح هو الذي يوحي لسمعان الشيخ، لدى حضور الطفل يسوع إلى الهيكل، بأنّ هذا المولود الجديد هو مسيح الربّ الذي سيحقّق خلاص إسرائيل (لو ٢: ٢٦). والروح القدس يواكب الصبيّ يسوع في نموّه (لو ٢:٤٠)، ويحلّ عليه في الأردن إثر معموديّته على يد يوحنا المعمدان (لو ٣:٢١)، ويقتاده في البريّة حيث كان الشيطان يجرّبه (لو ٤:١). أمّا بشارة يسوع في الجليل فتتمّ، أيضاً، تحت علامة حضور الروح وفعله: «روحُ الرَّبِّ عليَّ لأنّه مسحني لأبشِّرَ المساكينَ أرسلني لأشفي المنكسري القلوب...» (لو ٤: ١٨). وكما أشرنا الروح القدس يدمغ عمل يسوع الخلاصيّ الذي تتوّج بالموت والقيامة عبر حلوله على الكنيسة الأولى يوم الخمسين.

ولا تختلف الصورة التي ترسمها لنا النصوص الليتورجيّة عمّا نستقيه من الأناجيل، ما يدلّ على تأصّل لاهوت الليتورجيا في الكتاب المقدّس. فالروح هنا يُستحضر حتى يثبّت عمل المسيح ويعطيه دمغته الأخيرة. في الليتورجيا الإفخارستية، مثلاً، نحن نستذكر عمل المسيح الخلاصيّ، ولا سيّما العشاء الأخير والصلب والقيامة، ثم نطلب من الآب أن يرسل روحه القدوس علينا وعلى القرابين كما أرسله يوم العنصرة. الكنيسة المتشكّلة بحضور يسوع في القرابين لا تتشكّل من دون الروح. فهو الذي يحوّل الفعل الخلاصيّ الماضي إلى فعل حاضر. وحده الروح القدس يمدّ ذبيحة الصليب وسرّ القبر الفارغ إلى حاضر البشر المجتمعين حول الخبز والخمر، فيتحوّل هؤلاء إلى كنيسة، ويعبّرون عن تحوّلهم هذا عبر اقتبال جسد الرب ودمه في أجسادهم. ووحده الروح هو الذي يضفي على ذبيحة الصليب وسر القبر الفارغ طابعاً أُخروياً، انقضائياً، بمعنى أنّ الحدث الخلاصيّ المتحقّق في التاريخ يمتدّ لا إلى الحاضر فحسب، بل يعلن، على نحو مسبق، ما سيشهده اليوم الأخير من اكتمال، حين يبطل الموت، العدوّ الأخير، على تعبير الرسول بولس، ويصبح الله الكلّ في الكلّ: «لأنه يجب أن يملِكَ حتى يضعَ جميعَ الأعداءِ تحتَ قدميه. آخرُ عدوٍّ يُبطَلُ هو الموتُ... ومتى أُخضِعَ له الكلُّ فحينئذٍ الإبنُ نفسه أيضاً سيخضعُ للذي أخضعَ له الكُلَّ كي يكونَ اللهُ الكلَّ في الكُلِّ» (١كور ١٥:٢٥–٢٨).

ثمّة، إذاً، تداخل وتكامل بين عمل الإبن وعمل الروح. والقاعدة أنّ عمل الروح يمهر عمل الإبن ويضفي عليه طابعه الحاضر والأخروي، بحيث لا يبقى هذا العمل أسير حصوله في التاريخ. أمّا انتقال مواهب الروح إلينا فيتمّ عبر تأصّلنا في المسيح. وهذا يحدث، على نحو خاص، في المعمودية التي تصلب فينا الإنسان العتيق وتُطلقنا في حياة جديدة، وفي

أحدٌ من الرؤساءِ أو من الفريسيين آمن بهِ* أمَّا هؤلاءِ الجمعُ الذين لا يعرفون الناموسَ فهم ملعونون* فقال لهم نيقوديمُس الذي كان قد جاءَ إليهِ ليلاً وهو واحدٌ منهم* ألعلَّ ناموسَنا يدينُ إنساناً إنْ لم يسمَعْ منهُ أولاً ويَعْلَمْ ما فعل* أجابوا وقالوا لهُ ألعلَّكَ أنتَ أيضاً مِنَ الجليل. إبْحَثْ وانظُرْ إنَّهُ لم يَقُم نبيٌّ من الجليل* ثم كلَّمهم أيضاً يسوعُ قائلاً أنا هو نورُ العالَم مَن يتبَعُني فلا يمشي في الظلامِ بل يكونُ لهُ نورُ الحياة.

## تأمل

«وظهرت لهم ألسنةٌ متقسِّمةٌ كأنَّها من نارٍ فاستقرَّتْ على كلٍّ واحدٍ منهم فامتلأوا كلُّهم من الروحِ القدسِ وطفِقوا يتكلَّمونَ بلُغاتٍ أخرى كما أعطاهم الروحُ أن ينطِقوا» (رسل ٢:٣).

كان الروح القدس يعمل قبلاً ويتكلّم على لسان الأنبياء وينذر مسبقاً بما سيأتي. يحرّك التلاميذ طارداً الشياطين وشافياً الأمراض. الآن يظهر للكلّ كأقنوم خاص بشكل ألسنة ناريَّة مستقراً على التلاميذ وكأنه السيّد الجالس على عرشه محوّلاً إياهم إلى أدوات لقوّته.

ولكن لماذا ظهر بشكل ألسنة؟ لكي يبيّن صلته المميرون الذي هو بمثابة عنصرة شخصيّة تدمغ الولادة الجديدة التي نقتبلها في المعموديّة، وفي الإفخارستيا التي هي غذاء الحياة الجديدة. من هنا تشديد الكنيسة الشرقيّة، في تراثها، على التوازن بين الإبن والروح القدس، ورفضها بدعة انبثاق الروح من الآب والإبن معاً، التي انتشرت في الغرب المسيحيّ، وذلك خوفاً من أن يؤدّي مثل هذا القول إلى ضرب من تهميش الروح القدس، كما هو الحال في بعض ما سجّله تاريخ الكنيسة وما يشهد عليه الحاضر. الإبن والروح القدس هما، على تعبير القديس إيريناوس أسقف ليون، «يدا الله». وفي هذا ملء الإفصاح عن تكامل عملهما، من دون أن يؤدّي التكامل إلى ضرب التمايز.

## أقنوم الروح القدس وألوهته

التكلُّم عن الروح القدس أصعب بكثير من التكلّم عن الرب يسوع الذي تجسَّد وصار إنساناً وعاش بيننا وتحدَّث معنا، أما الروح القدس فلا نعرفه إلاَّ من خلال وصف الكتاب المقدس له ولأعماله: الريح، النفحة، المسحة، الحمامة، الروح، القدوس، المعزي، اللهيب، الغمامة، النور، السلام، الفرح، الشركة، المحبة إلخ... المهم اننا لا نعرف الروح إلاّ إذا اختبرناه.

في العهد القديم كلمة روح (في العبرانية Ruah) معناها ريح أو نفحة. وغالباً ما استعملت بهذا المعنى. أما الكلمة اليونانية Pneuma في العهد الجديد فنادراً ما عنت الريح، إلاّ ان جذر الفعل Pneo يعني نفخ. وهكذا فإن كلمة روح تشير إلى حركة الهواء أو الريح أو العاصفة القوية القادرة على قذف الأشياء، أو النسيم العليل الذي لا تكاد تشعر به إلا من خلال حفيف أوراق الشجر. المهم من كل تلك الحالات اننا لا ندرك مصدر هذه الحركة الشفافة أو العنيفة. قوة الروح القدس الخالقة والمحيية تفوق كالريح كل قدرة بشرية وكل إدراك بشري. الريح تظهر ضعف العالم البشري وهشاشته وعدم قدرته على التحكّم ببعض الأمور. لذا الرب يسوع يستغل سر حركة الريح لوصف عمل الروح القدس الخلاق في عملية الولادة من جديد. يقول لنيقموديموس «لا تتعجَّب أني قلتُ لك ينبغي أن تولدوا من فوقُ. الريحُ تهبُّ حيثُ تشاءُ وتسمعُ صوتَها لكنَّك لا تعلَمُ من أينَ تأتي ولا إلى أين تذهبُ. هكذا كلُّ من وُلدَ من الروحِ» (يو ٣: ٧–٨). الروح القدس بحسب التعاليم الآبائية الأرثوذكسية المرتكزة على الكتاب المقدس أصلاً تؤكد على ان الروح القدس ليس مجرد «قوة إلهية» أو «عاصفة إلهية» أو «قوة غير مدركة» بل هو أقنوم، شخص حقيقي، وهو العضو الثالث في الثالوث المقدس. ان الروح القدس منبثق من الآب منذ الأزل وهذا ما يميّزه عن الإبن المولود من الآب، والروح مساوٍ في الأزلية وفي الجوهر للآب والإبن، وهو متعلّق بالآب والإبن من حيث الوحدة والتماهي في الطبيعة والجوهر، وكأقنوم هو دائماً فاعل ومشارك في كل خطوة من أي عمل إلهي : الخلق، الخلاص، إعادة خلق الإنسان المحقق في الكنيسة وغيرها.

إذاً تؤكّد العقيدة الأرثوذكسية على وجود ثلاثة أشخاص أو أقانيم: الآب والإبن والروح القدس، وهؤلاء ليسوا شخصاً واحداً: «الذينَ يشهدونَ في السماءِ هم ثلاثةٌ الآبُ والكلمةُ والروحُ القدسُ، وهؤلاءِ الثلاثةُ هم واحدٌ» (١ يو ٥:٧). هم واحد من حيث الجوهر، أي لديهم نفس الألوهة، مع التشديد

بكلمة الله لأنه ما من شيء أقرب من الكلمة أكثر من اللسان. وفي الوقت ذاته لكي يبيّن موهبة التعليم. ذلك لأن المعلّم وفقاً لجواب المسيح يحتاج إلى لسان ممتلئ نعمة.

ولماذا الألسنة النارية؟ ليس فقط لأن الروح القدس هو من طبيعة الآب والابن بل نارٌ هو إلهنا، نار تأكل كل شراسة، هكذا يجعل قوّة البشارة مضاعفة تفيد وتعاقب في الوقت ذاته. وكما أن النار بطبيعتها تنير وتحرق، هكذا فإن كلمة البشارة التعليمية وفقاً لكلمة المسيح تنير الذين يثقون بها. أمّا الذين لا يثقون بها فهي تسلّمهم في النهاية إلى النار الأبدية. ومن ناحية أخرى لم يقل ألسنة من نار بل «وكأنها من نار» حتى لا يعتقد أحدٌ أن تلك النار حسّية ومادية. يتخذ هذه الصورة الحسّية مثالاً يرشدنا لظهور الروح.

ولماذا ظهرت الألسنة موزّعة؟ لأن المسيح وحده هو الذي يُمنح له من الآب الروح القدس بدون انقسام غير موزع، هو الذي نزل من السماء بالجسد وكان يتمتّع بالقوّة الإلهية بكاملها. أمّا للآخرين فلم تُعطَ نعمة الروح القدس بكاملها بل جزء منها لكل واحد حتى لا يُظنّ أن طبيعة القدّيسين مكوّنة من نعمة وعطية الروح القدس.

**القديس غريغوريوس بالاماس**

على ان الآب هو مصدر ألوهة الإبن وألوهة الروح القدس. للتثبت من ألوهة الروح القدس وانه شخص بحد ذاته، على المؤمن أن يقرأ إنجيل الرسول يوحنا، خاصة الإصحاحات ١٤ و١٥ و١٦ (من خطبة الوداع). هناك نقرأ: «وأنا (أي يسوع) أطلبُ من الآب فيعطيكم مُعزيًّا آخرَ ليمكثَ معكم إلى الأبد» (١٤:١٦). «أمَّا المُعزّي الروحُ القدسُ الذي سيرسله الآبُ باسمي فهو يُعلّمكم كلَّ شيءٍ ويذكّركم بكلِّ ما قلته لكم» (١٤:٢٦)، «ومتى جاءَ المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآبِ روحُ الحقِّ الذي من عندِ الآبِ ينبثقُ فهو يشهد لي» (١٥:٢٦)، «وأمَّا متى جاءَ ذاكَ روحُ الحقِّ فهو يُرشِدكم إلى جميعِ الحقِّ لأنَّه لا يتكلّم من نفسه بل كل ما يسمعُ يتكلّمُ به ويُخبركم بأمورٍ آتية. ذاكَ يُمجّدني لأنَّه يأخذُ مِمَّا لي ويُخبِركم. كلُّ ما للآبِ هو لي. لهذا قلتُ إنَّهُ يأخذُ مِمَّا لي ويخبركم» (١٦:١٣–١٥). إذا لم يكن الروح القدس إلهاً كاملاً وأقنوماً كاملاً، مساوياً للآب في الجوهر، فكيف يطلب الرب يسوع من تلاميذه، من بعد قيامته، أن «اذهبوا وتلمذوا جميعَ الأممِ وعمّدوهم باسمِ الآبِ والإبنِ والروحِ القدس» (متى ٢٨: ١٩)؟ لا يُعقل أن يطلب منهم أن يُعمّدوا باسم مَن ليس هو إلهاً وقد استعمل لفظة اسم لا أسماء للدلالة على ان الثلاثة واحد من حيث الجوهر. ولمزيد من التأكيد على ألوهة الروح القدس نورد ما حصل بين الرسول بطرس وحنانيا الذي اختلس أموالاً مع زوجته من ثمن قطعة الأرض التي باعاها. «فقالَ بطرسُ: يا حنانيَّا لماذا ملأَ الشيطانُ قلبكَ لتكذبَ على الروحِ القدسِ وتختلسَ من ثمن الحقل... أنت لم تكذب على الناسِ بل على اللهِ» (أع ٥:٣–٤). إذاً، الروحِ القدس هو الله. هذا ما يثبته أيضاً كلام الرسول بولس: «حسناً كلّم الروحُ القدسُ آباءَنا بإشعياءَ النبيِّ» (٢٨: ٢٥). كلنا يعلم ان المتكلّم مع النبي اشعياء هو السيد الرب إله الصباؤوت الجالس على كرسيٍ عالٍ وتناديه السيرافيم «قدُّوسٌ، قدُّوسٌ، قدُّوسٌ، ربُّ الجنودِ مجدُهُ ملءُ كُلِّ الأرض» (اش٦:٣). يقول الرسول بولس أيضاً: «لأنَّ الروحَ يفحصُ كلَّ شيءٍ حتى أعماقَ اللهِ. لأن مَن مِنَ الناسِ يعرفُ أمورَ الإنسانِ إلاَّ روحُ الإنسانِ الذي فيهِ. هكذا أيضاً أمورُ اللهِ لا يعرفها إلاَّ روحُ اللهِ» (١كور ٢:١٠–١١). لو لم يكن الروح القدس مساوياً للآب والإبن في الجوهر لكان التجديف عليه ممكناً. لكن الرب يقول: «أمَّا التجديفُ على الروحِ القدُسُ فلن يُغفرَ للناس... وأمَّا من قال كلمةً على الروحِ القدسِ فلن يُغفرَ له لا في هذا العالمِ ولا في الآتي» (متى ١٢: ٣١–٣٢). أخيراً، نعود إلى الآيات الأولى من إنجيل يوحنا. لو لم يكن الروح القدس إلهاً كاملاً لما كان الرب يسوع عهد بنا إليه ليقودنا في مسيرتنا نحو الملكوت بعد صعوده إلى السموات ولما قال: «إن كان أحدٌ لا يولدُ من الماءِ والروحِ لا يقدِرُ أن يدخلَ ملكوتَ اللهِ» (يو ٣:٥).

تعلّم الكنيسة أيضاً انه لم يكن وقت لم ينوجد فيه الروح القدس. هو كما الآب، لا بدء له. نقرأ في سِفر التكوين: «في البدءِ خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ. وكانت الأرضُ خربةً وخاليةً وعلى وجه الغمر ظلمةٌ وروحُ اللهِ يرفُّ على وجهِ المياهِ» (١:١و٢). «بكلمةِ الربِّ صُنعت السمواتُ وبنسمةِ فيه كلُّ جنودِها» (مز ٣٣: ٦)، «ترسِلُ روحَكَ فتُخلَقُ، وتُجدِّدُ وجهَ الأرض» (مز ١٠٤:٣٠)، «بروحِ اللهِ أُخرجُ الشياطينَ» (متى ١٢: ٢٨).

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**